الاحتفال بالمولد بين الغاية والوسيلة

الدكتور يوسف القرضاوي

● هناك لون من الاحتفال يمكن أن نقره ونعتبره نافعا للمسلمين، ونحن نعلم أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يكونوا يحتفلون بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا بالهجرة النبوية ولا بغزوة بدر، لماذا؟

لأن هذه الأشياء عاشوها بالفعل، وكانوا يحيون مع الرسول صلى الله عليه وسلم، كان الرسول صلى الله عليه وسلم حيا في ضمائرهم، لم يغب عن وعيهم، كان سعد بن أبي وقاص يقول: كنا نروي أبناءنا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نحفظهم السورة من القرآن، بأن يحكوا للأولاد ماذا حدث في غزوة بدر وفي غزوة أحد، وفي غزوة الخندق وفي غزوة خيبر، فكانوا يحكون لهم ماذا حدث في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يكونوا إذن في حاجة إلى تذكّر هذه الأشياء.

ثم جاء عصر نسي الناس هذه الأحداث وأصبحت غائبة عن وعيهم، وغائبة عن عقولهم وضمائرهم، فاحتاج الناس إلى إحياء هذه المعاني التي ماتت والتذكير بهذه المآثر التي نُسيت، صحيح اتّخذت بعض البدع في هذه الأشياء ولكنّني أقول إننا نحتفل بأن نذكر الناس بحقائق السيرة النبوية وحقائق الرسالة المحمدية، فعندما أحتفل بمولد الرسول فأنا أحتفل بمولد الرسالة، فأنا أذكّر الناس برسالة رسول الله وبسيرة رسول الله.

وفي الهجرة أذكّر الناس بهذا الحدث العظيم وبما يستفاد به من دروس، لأربط الناس بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ لنضحي كما ضحى الصحابة، كما ضَحّى عليّ حينما وضع نفسه موضع النبي صلى الله عليه وسلم، كما ضحت أسماء وهي تصعد إلى جبل ثور، هذا الجبل الشاق كل يوم، لنخطط كما خطط النبي للهجرة، لنتوكل على الله كما توكل على الله حينما قال له أبو بكر: والله يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، فقال: "يا أبا بكر ما ظنك في اثنين الله ثالثهما، لا تحزن إن الله معنا".

نحن في حاجة إلى هذه الدروس فهذا النوع من الاحتفال تذكير الناس بهذه المعاني، أعتقد أن وراءه ثمرة إيجابية هي ربط المسلمين بالإسلام وربطهم بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ليأخذوا منه الأسوة والقدوة، أما الأشياء التي تخرج عن هذا فليست من الاحتفال؛ ولا نقر أحدا عليها.

محمد الرحمة والحنان

توماس كارلايل *

● .. هل رأيتم قط.. أن رجلاً كاذبًا يستطيع أن يوجد دينًا عجبًا.. إنه لا يقدر أن يبني بيتًا من الطوب! فهو إذًا لم يكن عليمًا بخصائص الجير والجص والتراب وما شاكل ذلك فما ذلك الذي يبنيه ببيت وإنما هو تل من الأنقاض وكثيب من أخلاط المواد، وليس جديرًا أن يبقى على دعائمه اثني عشر قرنًا يسكنه مائتا مليون من الأنفس، ولكنه جدير أن تنهار أركانه فينهدم فكأنه لم يكن. وإني لأعلم أن على المرء أن يسير في جميع أموره طبق قوانين الطبيعة وإلاّ أبت أن تجيب طلباته.. كذب ما يذيعه أولئك الكفار وإن زخرفوه حتى تخيلوه حقًا.. ومحنة أن يخدع الناس شعوبًا وأممًا بهذه الأضاليل.

ليوحظ على محمد -صلى الله عليه وسلم- منذ صباه أنه كان شابًا مفكرًا وقد سماه رفقاؤه الأمين -رجل الصدق والوفاء- الصدق في أفعاله وأقواله وأفكاره. وقد لاحظوا أنه ما من كلمة تخرج من فيه إلا وفيها حكمة بليغة. وإني لأعرف عنه أنه كان كثير الصمت يسكت حيث لا موجب للكلام، فإذا نطق قما شئت من لب.. وقد رأيناه طول حياته رجلا راسخ المبدأ صارم العزم بعيد الهم كريمًا برًا رؤوفًا تقيًا فاضلاً حرًا، رجلاً شديد الجد مخلصًا، وهو مع ذلك سهل الجانب لين العريكة، جم البشر والطلاقة حميد العشرة حلو الإيناس، بل ربما مازح وداعب، وكان على العموم تضيء وجهه ابتسامة مشرقة من فؤاد صادق.. وكان ذكي اللب، شهم الفؤاد.. عظيمًا بفطرته، لم تثقفه مدرسة ولا هذبه معلم وهو غني عن ذلك.. فادى عملة في الحياة وحده في أعماق الصحراء.

.. ومما يبطل دعوى القائلين أن محمدًا - صلى الله عليه وسلم- لم يكن صادقًا في رسالته.. أنه قضى عنفوان شبابه وحرارة صباه في تلك العيشة الهادئة المطمئنة - مع خديجة رضي الله عنها- لم يحاول أثناءها إحداث ضجة ولا دوي، مما يكون وراءه ذكر وشهرة وجاه وسلطة.. ولم يكن إلا بعد أن ذهب الشباب وأقبل المشيب أن فار بصدره ذلك البركان الذي كان هاجعًا وثار يريد أمرًا جليلاً وشأنًا عظيمًا.

.. لقد كان في فؤاد ذلك الرجل الكبير - صلى الله عليه وسلم- ابن القفار العظيم النفس المملوء رحمة وخيرًا وحنانًا وبرًا وحكمة وحجى ونهى، أفكار غير الطمع الدنيوي، ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه. وكيف وتلك نفس صامتة كبيرة ورجل من الذين لا يمكنهم إلا أن يكونوا مخلصين جادين؟ فبينما نرى آخرين يرضون بالاصطلاحات الكاذبة ويسيرون طبق اعتبارات باطلة. إذ ترى محمدًا -صلى الله عليه وسلم- لم يرض أن يلتفع بالأكاذيب والأباطيل. لقد كان منفردًا بنفسه العظيمة وبحقائق الأمور والكائنات، لقد كان سر الوجود يسطع لعينيه بأهواله ومخاوفه ومباهره، ولم يكن هنالك من الأباطيل ما يحجب ذلك عنه، فكانه لسان حال ذلك السر يناجيه: هاأنذا، فمثل هذا الإخلاص لا يخلو من معنى إلهي مقدس، وما كلمة مثل هذا الرجل إلا صوت خارج من صميم قلب الطبيعة، فإذا تكلم فكل الأذان برغمها صاغية وكل القلوب واعية. وكل كلام ما عدا ذلك هباء وكل قول جفاء...

إني لأحب محمدًا - صلى الله عليه وسلم- لبراءة طبعه من الرأي والتصنع. ولقد كان ابن القفار هذا رجلاً مستقل الرأي لا يعول إلا على نفسه ولا يدعي ما ليس فيه ولم يكن متكبرًا ولكنه لم يكن ذليلاً، فهو قائم في ثوبه المرقع كما أوجده الله وكما أراده، يخاطب بقوله الحر المبين قياصرة الروم واكاسرة العجم يرشدهم إلى ما يجب عليهم لهذه الحياة وللحياة الأخرة. وكان يعرف لنفسه قدرها.. وكان رجلاً ماضي العزم لا يؤخر عمل اليوم إلى غد...

Th. Carlyle (١٧٩٥ - ١٨٨١)الكاتب الإنجليزي المعروف. من كتابه: (الأبطال) (١٩٤٠)، وقد عقد فيه فصلاً رائعًا عن النبي صلى الله عليه وسلم.

في ذكر

رسالة الهد

هلت علينا مناسبة مولد النبي (صلى الله عليه وسلم) اليوم ,وقلوبنا تعتصر أسفا ودما على ما وصلت اليه أحوال أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) عبر الكرة الأرضية كلها . صدقت يارسول الله : بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبي للغرباء .

حين بدأ الإسلام في مكة لم يكن حول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سوي نفر قليل ممن آمن وصدق ,فلقد كانت دعوه محمد (صلى الله عليه وسلم) ثوره دينية وفكرية وعلمية وحضارية شاملة ,ولم تكن دعوة للتوحيد فقط بل كانت ايضا دعوة لتحرير الانسان من العبودية لغير الله ودعوة لتحقيق العدل ومحو الظلم : ظلم الانسان لنفسه وظلم الانسان لاخيه الانسان ,لقد رفع محمد (صلى الله عليه وسلم) شعار الاخوة الحقيقية ,الاخوة في الله والاخوة في الوطن والاخوة في الانسانية جمعاء .

ان الذين يتشدقون بحقوق الانسان وحقوق المرأة والديموقراطية انما يكلمون انفسهم . ان الذي دعا الي حقوق الانسان وحقوق المرأة والشورى والعدل والحق والتسامح والاخوة والمساواة الحقيقية هو محمد (صلى الله عليه وسلم) ,ولم تكن دعوته نظريه حاله ولكنها اصبحت في حياته واقعا ومجتمعا فاضلا قائما . لم يكن محمد (صلى الله عليه وسلم) مجرد نبي بل كان نبيا ومرشدا وهادياً وثائرا واكثر من ذلك كان طبيبا يداوي النفوس المريضة. لم يكن متعطشا للدماء ولا كان ملكا يبحث عن مجده الشخصي ,لقد اضطهده الكفار وعذبوا أصحابه وآذوه وأدموا وجهه وجسده ووضعوا الشوك والقاذورات أمام بيته ,بل وعلى رأسه وهو ساجد يصلى , وقذفوه بالحجارة حتى أدموا قدميه ,وما دعا عليهم بل دعا لهم بالهداية ولم يطلب من ملك الجبال ان يدمدم عليهم جبال مكة بل دعا أن يخرج من أصلابهم من يؤمن بالله وحده . ثم قاطعوه وأخرجوه هو واتباعه من بيوتهم إلى شعاب مكة ثلاث سنوات عاش فيها المسلمون على أوراق الشجر ,وكان صراخ أطفال المسلمين الجوعى يسمع من خلف جبال مكة ,ثلاث سنوات ,تحمل المسلمون ,وما وهنوا وما ضعفوا وما استكانوا . لقد مارس الكفار ضد المسلمين كل وسائل القهر لده ثلاث عشرة سنة , ولم يكن للمسلمين سلاح سوى الصبر إلى أن جاء الفرج . وكان الله بإمكانه أن يجنب المسلمين كل هذا العذاب وان يأتي الفرج لتوه ,ولكنه بحكمته أراد لهذا الأمر أن يتم في تقديره هو ,إذ لابد للمرء أن يختار فليس أمامه سوى طريقين ,الطريق الأول هو الاستسلام والخنوع والخضوع لقوي الشرك وهي قوى عاتية في كل زمان ومكان ,وفي ذلك إيثار للسلامة ومتاع قليل في الدنيا وعذاب عظيم في الآخرة. والطريق الثاني هو طريق الحق ورفض الباطل مهما كانت التضحيات . والرفض قد يكون رفضا مسالما ولكنه رفض مترقب بلا تفريط ولا رجوع عن الحق ,ثم قد يكون الرفض في مرحله أخرى رفضا جهاديا عسكريا وهو ماحدث بعد هجره النبي (صلى الله عليه وسلم) واتباعه ومواصله الكفار لحربهم ضده ,فهم لم يتركوا الإسلام وشأنه بل صادروا ممتلكات المسلمين في مكة واضطهدوا من بقي منهم فيها ,ثم اجمعوا امرهم على القضاء على المسلمين في المدينة ,وحين جاء الإذن من الله للمسلمين بالقتال دفاعا عن الدين وعن النفس وضع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) القواعد والقيود لآداب القتال فنهى عن قتل الأبرياء والنساء والأطفال والشيوخ والرهبان ونهى عن حرق البيوت والأشجار والمزروعات ونهى عن المثله ,تماما كما وضع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) القواعد والآداب لمجتمع المدينة على أساس العدل والمساواة للمسلمين وغير المسلمين بما يحفظ للجميع حقوق المواطنة وحرية العبادة والعقيدة ,واعطى المرأة حرية الإرث واختيار الزوج وحرية التصرف في مالها بل وحرية احتفاظها باسم ابيها وهو مالم تعرفه الحضارة الغربية إلى اليوم من حرية المرأة . لقد تصدى الإسلام فقط لحرية التبرج وحرية الزنا للرجال والنساء على السواء . لقد أعطى الإسلام للمرأة كرامتها بعد ان كانت في الجاهلية تواد وتحرم من الميراث بل وتورث .

لم يتحقق مجتمع الفضيلة والحق والعدل بيسر بل بصبر كبير وصل إلى ذروته في

صفة الرسول وخلقه

وصف أم معبد:

● قالت أم معبد الخزاعية في وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوجها، حين مر بخيمتها مهاجرًا:

رجل ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه، حسن الخلق لم تعبه تجلة، ولم تزر به صعلة، وسيم قسيم، في عينيه دعج، وفي أشاعره وطف، وفي صوته صحل، وفي عنقه سطح، أحور، أكحل، أزج، أقرن، شديد سواد الشعر، إذا صمت علاه الوقار، وإن تكلم علاه البهاء، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأحسنهم وأحلاهم من قريب، حلو المنطق، فضل، لا نزر ولا هذر، كأن منطقة خرزات نظمن يتحدرن، ربعة، لا تقحمه عين من قصر ولا تشنؤه من طول، غصن بين غصنين، فهو أنظر الثلاثة منظرًا، وأحسنهم قدرًا، له رفقاء يحفون به، إذا قال استمعوا لقوله، وإذا أمر تبادروا إلى أمره، محفود، محشود، لا عابس ولا مفند.

وصف علي بن أبي طالب:

قال علي رضي الله عنه وهو ينعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - لم يكن بالطويل الممغط، ولا القصير المتردد، وكان ربعة من القوم، لم يكن بالجعد القطط، ولا بالسبط، وكان جعدا رجلا، ولم يكن بالمطهم ولا بالكلثم، وكان في الوجه تدوير، وكان أبيض مشربا، أدعج العينين، أهدب الأشفار، جليل المشاش والكتد، دقيق المسربة، أجرد، شثن الكفين والقدمين، إذا مشى تقلع كأنما يمشي في صبب، وإذا التفت التفت معا، بين كتفيه خاتم النبوة، وهو خاتم النبيين، أجود الناس كفاً، وأجرأ الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة، وأوفى الناس ذمة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم.

وصف هند بن أبي هالة:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليست له راحة، ولا يتكلم في غير حاجة، طويل السكوت، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه -لا بأطراف فمه- ويتكلم بجوامع الكلم، فصلاً لا فضول فيه ولا تقصير دمثا ليس بالجافي ولا بالمهين، يعظم النعمة وإن دقت، لا يذم شيئاً، ولم يكن يذم ذواقاً -ما يطعم- ولا يمدحه، ولا يقام لغضبه إذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له لا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لها - سماح - وإذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه، جل ضحكه التبسم، ويفتر عن مثل حب الغمام.

وكان يخزن لسانه إلا عما يعنيه. يؤلف أصحابه ولا يفرقهم، يكرم كريم كل قوم، ويوليه عليهم، ويحذر الناس، ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد منهم بشره. يتفقد أصحابه - ويسأل الناس عما في الناس، ويحسن الحسن ويصوبه، ويقبح القبيح ويوهنه، معتدل الأمر، غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملوا لكل حال عنده عتاد، لا يقصر عن الحق، ولا يجاوزه إلى غيره الذي يلونه من الناس خيارهم، وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة.

كان لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر، ولا يوطن الأماكن - لا يميز لنفسه مكاناً - إذا انتهى إلى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك، ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه، من جالسه أو قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول، وقد وسع الناس بسطه وخلقه، فصار لهم أبا، وصاروا عنده في الحق متقاربين. يتفاضلون عنده بالتقوى، مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤبن فيه الحرم -لا تخشى فلتاته- يتعاطفون بالتقوى، يوقرون الكبير، ويرحمون الصغير، ويرفدون ذا الحاجة، ويؤنسون الغريب.

كان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخاب، ولا فحاش، ولا عتاب، ولا مداح، يتغافل عما لا يشتهي، ولا يقنط منه قد ترك نفسه من ثلاث الرياء، والإكثار، وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث لا يذم أحداً، ولا يعيره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساؤه، كأنما على رؤوسهم الطير، وإذا سكت تكلموا. لا يتنازعون عنده الحديث. من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم حديث أولهم، يضحك مما يضحكون منه، ويعجب مما يعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق، ويقول إذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه، ولا يطلب الثناء إلا من مكافئ.

وصف عمرو بن العاص:

عن ابن شُمَاسَةَ المهري قال حضرنا عمرو ابن العاص فذكر لنا حديثاً طويلاً فيه: "وما كان أحد أحب إليَّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت، لأني لم أكن أملأ عيني منه".

وصلى اللهم على خير الأنام سيدنا وحبيبنا وقدوتنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

مولد أ

□ مما لا شك فيه أن في تاريخ الأمم أحداث تطرأ عليها يكون لها الأثر البالغ في تطوير الحياة أو هدمها، وإن من أهم الأحداث التي أثرت في حياة البشرية وغيرت مجرى التاريخ، مولد الرحمة المهداة والنعمة المسداة محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم.

وكما هو معلوم أن العالم بشكل عام والجزيرة العربية على وجه الخصوص كان يعج بالفوضى ويمر باضطرابات في كل نواحي الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية والأخلاقية وغيرها، حيث كانت البشرية في القرنين السادس والسابع الميلاديين تعيش في ظلام الجهل، إذ سادت الفتن وانتشرت الوثنيات والمنكرات وساد الفساد بكافة أنواعه وأشكاله، وحرفت المعتقدات وغيرت المفاهيم، ومن أهمها : تعرض الديانات السماوية إلى تحريف وتعديل حتى فقدت الروح ولم تعد تمثل الروح الأساسية في إصلاح المجتمعات التي جاءت من أجلها، ولأن سنة الله تعالى قضت أنه لا داء إلاّ وله دواء (إلاّ السام والهرم)، أي الموت والكبر، فكان ميلاد محمد بن عبدالله كعلاج لكل داء وشفاء من كل علة، وأداة لإصلاح خلل الحياة التي ظهر فيها، وأراد الله عز وجل من مولد الحبيب المصطفى أن يعيد صياغة العالم من جديد على الأسس التي خلقهم من أجلها، وأن يرسم للإنسان منهجاً قويماً يسير عليه، وإن من أهم هذه الأسس التي جاء بها المولد النبوي الشريف : العدل والمساواة والحرية والرحمة والابتعاد عن الفحشاء والمنكر والعمل بالفضيلة والسير على الطريق القويم.

هذه هي المبادئ التي يعود الإنسان من خلالها إلى وضعه الطبيعي بين هذه الموجودات في هذا الكون الفسيح، كما جعل الله تعالى هذا المولود الكريم قرآنه في أرضه وكلماته في خلقه ومعجزاته لخلقه ونوره في الحياة، جعله تغييراً لوجه الكون كله، ظاهره وباطنه.

ومن هنا فالاحتفاء بهذه المناسبة ليس للغرض القصصي والسرد التاريخي أو إقامة طقوس لا علاقة لها بالإسلام، بل هو أن نجعل من المولد مدرسة نتعلم منها بناء الحياة وتطورها، لأن المولد دروس وعبر وتاريخ وحياة، ولابد أن نستغل هذه المناسبة لنتعلم منها ما جاءت من أجله، والتي منها الثبات على المبادئ مهما كانت المغريات، كما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما ساومته قريش بالمال والجاه والسلطة كي يترك ما جاءهم به فرفض ذلك كله، ونتعلم - أيضاً - حفظ الأمانة بكل أنواعها، والتي هي واسعة الدلالة، فقد عُرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم منبعثه بعده بـ «الصادق الأمين»، ولم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يفرط بالأمانة حتى لغير المسلمين، فعندما هاجر مكة أمر علياً برد ما وضع عنده من مال وأمانات، وكذلك نتعلم الحكمة في الدعوة والسياسة الحكيمة في نشر الإسلام كما فعل في صلح الحديبية وكيف تعامل مع الكفار حتى أسلموا.

● إن الحب الشرعي للنبي الأعظم -صلى الله عليه وآله وسلم- مسألة عقدية هامة يجب أن تنضبط بضوابط الشرع المقدس وترتبط بروابط الحب الصادق العميق الوطيد حتى يكون النبي الأعظم أحب الى كل مسلم ومسلمة من نفسه وأهله وماله والناس اجمعين ، وحتى يكون هوى المحب نابعا وخاضعا لما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم بل يكون هذا الحب ثمرة التطبيق الواعي والكامل لما أمر الله به أن يتحقق بفاعلية وديمومة . واستمرار وحيوية . لان الاتباع لهذا النبي والالتزام بنهجه ، واقتفاء اثره ،والاقتداء به هو الطريق الوحيد الموصل الى محبة الله جل في علاه لكل مسلم ، يقول تعالى « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم» آل عمران٣١ .

والذي يزيد هذه المحبة وينميها ويعززها ويعمقها ويقويها إنما هو التعرف العميق على ذات المحبوب ، وامتيازه بصفاته العظيمة ، وانفراده بأخلاقه السامية ،وتفرده بصفات الجمال وسمات الكمال ،وخصال العظمة في كل الأمور والشئون المعدودة من خصال الخير ومقاييس الرقي والسمو والعلو والشموخ.

رحمة للعالمين

قال رسول الله -عليه وعلى آله صلوات الله- «يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة» رواه الحاكم في المستدرك ٣٥/١ وصححه على شرط الشيخين وأقره الذهبي وهو في مجمع الزوائد ٢٥٧/٨ .

وهذا الحديث تفسير لآية ١٠٧ من سورة الانبياء حيث قال تعالى يخاطبه « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» قال الامام الشوكاني في تفسير هذه الآية الكريمة: «وما ارسلناك يامحمد بالأحكام والشرائع إلا لرحمة جميع الناس، أي: ما أرسلناك إلا لرحمتنا الواسعة فإن ما بعثت به سبب لرحمة الدارين» «راجع فتح القدير للشوكاني ٤٣٠/٣».

وقد جاءت مادة «الرحمة» في القرآن الكريم في ٣٢٣ موقعا.

وتنوع هذه الصيغ بأوزانها المختلفة ،ودلالاتها المتعددة يثبت لنا أن الرحمة مراحل فوق العدل وتقرير الحقوق ، وتحديد الواجبات فهي لون من الوان الاحساس لا يقتصر على اعطاء كل ذي حق حقه، بل يتجاوز ذلك الى التنازل عن بعض حقوقنا رحمة به ، واحسانا الله له فيكون الانسان -بالاسلام- إنسان الواجب الذي يستشعر مسؤوليته ويقوم بواجباته ويحس بحقه ويطالب به» «راجع مقدمة النظرية السياسية في حقوق الانسان الشرعية

ويظل إلحاق رحمة لله بالعالمين -عالم الإنسان والحيوان والبيئة الطبيعية - واجب على كل مسلمة يستشعر انتماءه لهذا الدين القويم واتباعه لهذا النبي الكريم صاحب الخلق العظيم واحساسه بمسؤولياته الجسيمة على كل ما يتحقق المسلمون بسلوك الاقتداء والاهتداء بسيد المرسلين محمد صلى الله وسلم وبارك عليه وآله الطيبين الطاهرين.

إن من فضل النبي صلى الله عليه وآله وربه ومولاه أنه الله - جل في علاه- قد أخذ والميثاق من جميع الأنبياء والمرسلين بأن بالنبي الخاتم محمد ويتبعوه وينصروه إذا أي واحد منهم على قيد الحياة بل أخذ الأنبياء والمرسلين أجمعين عهدا بأن يبشروهم- عهودا على جميع أممهم وشعوبهم تعالى»وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين عمران ٨١ .

ولهذا النبي المبجل خصوصية هامة هي : تبارك وتعالى قد قدر نبوته وقدر رسالته و السلام مازال طينا لم يتكون بشرا بعد مص في قوله صلى الله عليه وآله وسلم إني عند ا النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته» رواه أ المسند ٢١٧/٤ والحاكم في المستدرك ٢/ حديث آخر سئل النبي صلى الله عليه و يارسول الله متى وجبت لك النبوة؟ فقال :«

خصائ

هل صحيح أن النبي عليه الصلاة والسلام أول خلق الله ؟ وأنه خلق من نور؟

● الدكتور الشيخ/يوسف عبدالله القرضاوي

المعروف أن الأحاديث التي جاءت تعلن أن أول ما خلق كذا أو كذا .. إلخ لم يصح منها حديث واحد كما قرر علماء السنة ... ولذلك نجد بعضها يناقض بعضًا، فحديث يقول: إن أول ما خلق الله القلم ... وحديث ثان: أول ما خلق الله العقل .. وشاع بين العامة مما يتلى عليهم من قصص المولد المعروفة أن الله قبض قبضة من نوره، وقال لها: كوني محمدًا، فكانت أول ما خلق الله، ومنها خلق السموات والأرض ... إلخ . ومن هذا شاع قولهم: " الصلاة والسلام عليك يا أول خلق الله " حتى ألصقها بعضهم بالأذان الشرعي كأنها جزء منه.

وهذا كلام لم يصح به نقل، ولا يقره عقل، ولا ينتصر به دين، ولا تنهض به دنيا، فأولية عليه السلام لخلق الله لم تثبت، ولو ثبتت ما كان لها أثر في أفضليته عليه الصلاة والسلام ومكانه عند الله، وحسبما مدحه الله تعالى في كتابه مدحه بمناط الفضل الحقيقي فقال: (وإنك لعلى خلق عظيم). (سورة القلم: ٤).

والثابت بالتواتر أن نبينا عليه الصلاة والسلام هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي المولود من أبويه عبد الله بن عبد المطلب وآمنة بنت وهب بمكة في عام الفيل، ولد كما يولد البشر، ونشأ كما ينشأ البشر، وبعث كما يبعث من قبله أنبياء ومرسلون، فلم يكن بدعًا من الرسل، وعاش ما عاش ثم اختاره الله إليه (إنك ميت وإنهم ميتون) (سورة الزمر: ٣٠)، وسيُسأل يوم القيامة كما يُسأل المرسلون: (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب). (سورة المائدة: ١٠٩).

ولقد أكد القرآن بشرية محمد عليه السلام في غير موضع، وأمره الله أن يبلغ ذلك للناس في أكثر من سورة: (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي) (سورة الكهف: ١١٠)، (قل سبحان ربي، هل كنت إلا بشرًا رسولاً) (سورة الإسراء: ٩٣)، فهو بشر مثل سائر الناس لا يمتاز إلا بالوحي والرسالة.

وأكد النبي عليه الصلاة والسلام معنى بشريته وعبوديته لله، وحذر من إتباع سنن من قبلنا من أهل الأديان في التقديس والإطراء: " لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد الله ورسوله ". (رواه البخاري).

وإذا كان النبي العظيم بشرًا كالبشر، فليس مخلوقًا من نور، ولا من ذهب، وإنما خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب.

هذا من حيث المادة التي خلق منها محمد عليه الصلاة والسلام.

أما من حيث رسالته وهدايته فهو نور من الله، وسراج وهاج . أعلن ذلك القرآن فقال بخاطبه: (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا) (سورة الأحزاب: ٤٦)، وقال يخاطب أهل الكتاب: (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) (سورة المائدة: ١٥) فالنور في الآية هو رسول الله، كما أن القرآن الذي أنزل عليه نور . قال تعالى: (فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا) (التغابن: ٨)، (وأنزلنا إليكم نورًا مبينًا) (النساء: ١٧٤)، وقد حدد الله وظيفته بقوله: (لتخرج الناس من الظلمات إلى النور). (إبراهيم: ١).

وقد كان دعاؤه عليه الصلاة والسلام: " اللهم اجعل لي في قلبي نورًا وفي سمعي نورًا وفي بصري نورًا وفي لحمي نورًا وفي عظمي نورًا وفي شعري نورًا وعن يميني نورًا وعن شمالي نورًا .... ومن بين يدي ومن خلفي .. " . الحديث (متفق عليه من حديث ابن عباس) فهو نبي النور ورسول الهداية . جعلنا من المهتدين بنوره المتبعين لسنته، آمين.

والله أعلم

مصير أم النبي صلى الله عليه وسلم

الشيخ عطية صقر

● روى مسلم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " استأذنتُ ربِّي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي" وقد تحدث العلماء عن والدي النبي - صلى الله عليه وسلم - وقد ماتا قبل بعثته، فقال جماعة: هما ناجيان كأهل الفترة، لقوله تعالى:(وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً) (سورة الإسراء : ١٥)

وللإمام السيوطي كلام طيب في هذا الشأن يؤيد هذا الرأي وهذا ما يرجحه العلماء الراسخون.

وقال آخرون إنهما ليسا مؤمنين، واستدلُّوا بأدلة منها الحديث المذكور الذي يعزّزه قول الله تعالى:(مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) (سورة التوبة : ١١٣) .

ورد عليهم الأولون بأن عدم الإذن في الاستغفار لا يدل على الكفر، كما لم يصل النبي - صلى الله عليه وسلم - على الميت الذي عليه دين مع أنه غير كافر، وعدم الاستغفار للمشركين مبني على تبين أنهم من أصحاب الجحيم، وذلك بعد تبليغ الدعوة والكفر بها، ووالدا الرسول، صلى الله عليه وسلم، لم تبلغهما الدعوة الإسلامية لأنهما ماتا قبل البعثة.

والموضوع مبسوط في الكتب ولا داعيَ للإفاضة فيه فقد ذهبا إلى ربِّهما وهو أعلم بحالهما ولا ينبغي أن يحملنا حسن الظنّ وحبُّنا للرسول على إيراد أخبار ينقصها الدليل القوي كإحيائهما بعد الموت للإيمان بالرسول.

والزرقاني حذَّر من ذكرهما بما فيه نقص؛ لأن ذكر الأموات بما فيه نقص يؤذي الأحياء، وفي الحديث "لا تؤذوا الأحياء بسبِّ الأموات" كما رواه الطبراني، ولا ريب أن إيذاءه عليه الصلاة والسلام كفر يقتل فاعله إن لم يتُب " ج١ ص١٨٥ " وهو رأي طيب.

سيف الرسول صلى الله عليه وسلم